تأليف: عارف الخطيب

البستان الأزرق

*** قصص للأطفال ***

من منشورات اتحاد الكتّاب العرب
دمشق - ٢٠٠٠

الدّميَــة

دخل أبو مروان بيته، يحملُ سيّارةً حمــراءَ، ودميةً جميلة..

أسرع إليه مروانُ، فقبّلهُ أبوهُ، وقال:

– هذه السيارةُ لك يا حبيبي!

– شكراً لك يا أبي!

تناولَ مروانُ السيّارةَ، وسرعان ما جلس على ركبتيهِ، وأخذ يُسيّرها على الــبلاط، وهــو فــرحٌ

مسرور.. انتبهتْ غادة، وركضت إلى أبيها، فقبّلها أيضاً، وقال:

– وهذه الدميةُ الحلوةُ لكِ يا حبيبتي!

– شكراً لك يا أبي!

تناولتْ غادةُ الدمية الصغيرة.. نظرتْ إلى وجهها الجميل، وعينيها السوداوين، فأحبتْها كثيراً، وراحتْ تقبّلها، وتضمّها إلى صدرها، ثم صارت ترقّصها وتناغيها، وبعد فترةٍ، قالت لها:

– لقد تعبت يا حبيبتي.. يجب أنْ تنامي..

أرقدتْ غادة دميتها، وغطّتها كي لا تبردَ، ثم قعدتْ بجانبها، تُربّتُ فوقها بحنان، وتحدو لها لتنام..

جاءها مروانُ، وقال:

– أعطني دميتكِ يا غادة!

– لا ترفع صوتكَ فتوقظها

- أعطني إيّاها
- لماذا؟
- سأركبُها في سيّارتي
- ولكنّها نائمة
- أعطني إيّاها
- إنّها دميتي، ولن أعطيها
- سآخذها غصباً
- استمسكت غادة بدميتها.. نترها مـــروانُ بقسوة، فقطعَ رأسها!

انفجرت غادةُ تبكـــي، حزنـــاً علـــى دميتهـــا الحبيبة..

أفاق الأبُ من قيلولته، وحين عرف ما فعلـــهُ مروانُ، زعلَ وتغيّرَ وجهـــه. وجـــاءت الأمّ مـــن المطبخ، وحين عرفتْ ما فعلهُ مـــروان، زعلـــتْ وتغيّر وجهها.

نظر مروانُ إلى أبيه، فوجدهُ عابساً.
نظر إلى أُمّهِ فوجدها عابسة
نظر إلى أخته، فوجدها حزينة.
نهض خجلاً، واعتذر إلى أبيه، وأمّهِ، وأخته.
قال الأب:
- اعتذرْ إلى الدمية الصغيرة!
التفتَ مروان إلى الدمية، فرأى جسدها في ناحية، ورأسها في ناحية، قال محزوناً:
- وماذا يفيدها الاعتذار؟!
قال الأبُ ساخراً:
- قد يعيدُ إليها رأسَها!
أطرقَ مروانُ صامتاً، يرهقُهُ ندمٌ شديد..

النهر الكبير

تحرَّتْ قطراتُ المطر، مــن ســجنِ الغيمــةِ المظلم، وهبطنَ مسرعاتٍ نحوَ الأرض..

قالت قطرة:

– إنّها لفرحةٌ كبرى، أنْ نتحــرّر مــن أســرِ الغيمة.

ردَّت قطرةٌ أخرى:

– وما يفيدنا ذلــك، إذا كنــا ســنموتُ بعــدَ لحظات؟!

قالت قطرةٌ ثالثة:

– إذا أردنا الحياة، فلا بدّ من الاتحاد.

أضاء الأملُ وجوهَ القطرات، وارتفعتْ مــنهنَّ أصواتُ التأييد:

– نحبُّ الحياة

– نكرهُ الموت

– نريدُ الاتحاد

– نريدُ الاتحاد

حينما لامــستِ القطــراتُ الأرضَ، أســرعَ بعضهنّ إلى بعض، تعانقنَ بوئام، تلاحمْنَ بوداد، فشكّلنَ نهراً دافقاً، ازدانَتْ ضفتاهُ بالأزهار.. هرعَ

إليه الأطفالُ، وهتفوا معجبين:

– ما أجملَ هذا النهر!

صار النهرُ صديقَ الأطفال.. عندَهُ يلعبــون، وفي مياهه يسبحون..

قالت قطرةٌ حمقاء:

– كم مرة سمعْتُ الأطفالَ يقولون: "ما أجمــلَ هذا النهر" أمّا نحنُ قطراتِ الماء، فلا يذكرنا أحدٌ، أفلا يعلمون أنْ لا قيمةَ لنهرٍ بغيرِ قطرات؟!

أجابتْ قطرةٌ ذكية:

– بل نحن يا صديقتي، لا قيمةَ لنا ولا حيــاةَ، لولا هذا النهرُ الذي يجمعنا

– لن يثنيني قولكِ هذا عمّا قرّرْت

– وماذا قرّرْتِ؟

– قرْرتُ الانفصال عن النهر

– لا تفعلي يا حبيبتي!

– لماذا؟

– أخافُ أنْ تموتي

– لن أموت

– الضعفاء – إذا تفرقوا – يموتون

– لستُ ضعيفة

– ما أشدّ غرورك!

تشبّثت القطرةُ الحمقاء بعنادها، وصعدتْ إلى الضفة، فهبّتْ عليها ريحٌ عاتية، جرفتها في طريقها، وبدّدتها في الهواء..

وفي اليوم الثاني، حاولتْ قطرةٌ أخرى، الانفصال عن مياه النهر.. تسلّقتْ صخرةً على جانبه، فأحرقها حرّ الشمس، قبلَ أنْ تبلغَ الشاطئ..

وفي اليوم الثالث، انفــصلتْ قطــرةٌ جديــدة، وعندما صارت على الشاطئ، مــرّ بهــا حمــارٌ مسرعٌ، فداسها بحافرٍ صلبٍ، ومــضى لا يلــوي على شيء.. بعد ذلك..

أدركتِ القطراتُ جيداً، أنْ لا حيــاةَ لهــنّ إلاّ بالاتحاد، ولَم تحاولْ قطرةٌ أخرى، الانفصال عــنِ النهرِ الكبير.

الأرنب الذكية

في أرض بوارٍ، داخلَ جحرٍ دافــئ، عاشَــتْ أرنب مع صغارها، في أمانٍ وهناء..

وفي أحد الأيام، كان الأرنبُ الصغير، يتشمّسُ خارج الجحر، فلمحَ رجلاً مقبلاً.

اختبأ سريعاً، ليراقبهُ من مكمنه..

اقتربَ الرجلُ، دخــلَ الأرضَ، خطــا بــضعَ خطوات، اعترضتهُ الأشواكُ، توقّفَ عن المــسير،

سرَّح نظرهُ فوق أرضه البائسة، ثم قال:

–يا أرضي الحبيبة!

غداً سآتيك بمحراث قــاطعٍ، وأقلــبُ عاليــك سافلك، سأخلّصُكِ من الأشــواكِ، وأجعلــكِ جنّــةً خضراء.

هرع الأرنبُ الصغيرُ إلى أمّه.. أنبأهــا بمــا سمع، وتوسّل إليها أنْ ترحلَ بهم، إلى مكانٍ آخر.

ضحكَتْ أمُّهُ، وقالت:

– لا تجزعْ يا صغيري، فهذا رجلٌ يقولُ ما لا يفعل.

مضى عامٌ كامل، عاد مالــكُ الأرضِ ثانيــةً، فوجد أرضَهُ أشدّ بؤساً وحزناً، قال:

– يا أرضي الحبيبة!

غداً سآتيك بمحراث قــاطعٍ، وأقلــبُ عاليــك سافلكِ، سأخلّصُكِ من الأشــواكِ، وأجعلــكِ جنــةً

خضراء

سمع الأرنبُ الصغيرُ كلامَهُ، قفز مسرعاً نحو أمّه، أخبرها بما سمع، وطلب إليها الإسراع في الرحيل..

ضحكَتْ أمُّهُ، وقالت:

– لا تخفْ يا صغيري، فما سمعتَهُ قولٌ عقيمٌ، ستذروهُ الرياح. مرّتْ أعوامٌ كثيرة، وفي رأسِ كلّ عام، كان الرجلُ يجيء، ويلقي نظرةً على أرضهِ، ثم يقول:

– يا أرضي الحبيبة!

غداً سآتيكِ بمحراث قاطعٍ، وأقلبُ عاليكِ سافلكِ، سأُخلّصَكِ من الأشواكِ، وأجعلكِ جنّةً خضراء. وبالرغمِ من كلّ ما قال، ظلّتِ الأرضُ بوراً، تجرحُ وجهَها الأشواك.

ذاتَ مساء.. أبصرَتِ الأرانبُ شاباً فقيراً،

مفتولَ العضلات، يتفحّصُ أرجاءَ الأرض، ثم مـــا لبث أن مضى، بدون أنْ ينبس بكلمة.

قالت أُمّ الأرانبِ في نفسها:

-لا ريبَ أنّ هذا الشابَ، قد اشترى الأرض، من ذلك الرجل المهذار.

أوجسَتْ منه خيفة، ولكنّها لم تُشعرْ صغارها.

وفي الصباح الباكر، خرجَتْ مـــن جحرهـــا، لتبحثَ عن الرّزق، فرأتْ شاب الأمـــس قادمـــاً، يسوقُ ثورين قويين، يجرّان محراثاً حادّاً، تبـــرقُ شفرتُهُ بريقاً..

انطلقتْ إلـــى جحرهـــا، أنـــذرتْ صـــغارها بالخطر، وحثّتهم على الخروج، وهي تقول:

- هيّا يا صغاري.. الآنَ، الآنَ، حـــانَ وقـــتُ الرحيل!

الليل والسّراج

الجوّ هادئ ساكن، والليلُ مظلمٌ حالك.. وفي غرفةٍ صغيرةٍ، على حدودِ القرية، قعدتْ أمّ حنون، بجانبِ ابنتها فاطمة، تحكي لها حكايةً ممتعة، علّها تخلدُ إلى النوم.

كانت النافذة مفتوحة، وعلى حافتها، استقرّ سراجٌ مضيء، ينصتُ إلى الحكاية، وهو مسرور.

هاجمَ الليلُ السراج، ليطفئ ضـــوءهُ، ويـــدخل الغرفة، وحينما دنا إليه، تراجع عنه مذعوراً..

وبعد زمن يسير، أعـــاد الكـــرّة مـــن جديـــد، فاحترقت أطرافُهُ، وارتدّ يائساً..

لم يستطع سوادُ الليل، أن يطمس نورَ السراج، وظلّ السراجُ مُتوهجاً، ينشر حولهُ الضياء..

اشتدّ غيظ الليل، فاســـتنجد بـــالريح، وطلـــب مساعدتها، في إطفاء السراج، فـــالنورُ والظـــلام، عدوّان لا يصطلحان.. وافقتِ الريحُ، وهبّتْ مـــن رقادها، كفرسٍ جموح، واندفعَتْ تركضُ معولـــةً، فاقتلعتْ شجيراتٍ صـــغيرة، وقـــصفت أغـــصاناً كثيرة، أمّا الحشائشُ الضعيفة، فقد حنَتْ رؤوســـها خائفةً، فداستها الريحُ، وتابعت جريهـــا، لا تلـــوي على شيء، فلم يسلم من شرّها إلا أشجارٌ عريقةٌ، تشبّثتْ جذورها بأعماق الأرض.. اقتربت الـــريحُ من السراج، فارتعشتْ أنوارُه من الذعر.

قال السراج:

– أيتها الــريحُ العاتيــة، أتوسّــلُ إليــكِ، أنْ تبتعدي عنّي.

قالت الريح:

– لن أدعَكَ تؤذي الليل

قال السراج:

– أنا لا أؤذي أحداً، إنني أنشرُ الضياءَ، على أمّ تحكي لطفلتها حكاية.

قالت الريح:

– لا تكثرنّ الكلامَ، فالليل صديقي، وهــو أوْلــى بمساعدتي.

قال السراجُ محزوناً:

– كنتُ أحسبُ أنّ الظلامَ ليس له أصدقاء!

قالت الريح:

– بل أصدقاؤه كثيرون

قال السراج:

– انتظريني ريثما تنامُ الطفلة، فإنهـــا تخـــاف الظلام

قالت الريح:

– لن أنتظركَ لحظةً واحدة، إنني في عجلـــة من أمري.. هجمتِ الريحُ على السراج، فنفخـــتْ شعلتهُ، وأكبَّتْهُ على وجهه.

بعد ذلك.. تعبتِ الريح، وقعدَتْ لتستريح..

قال الليل:

– لن أنسى فضلكِ أيتها الريح!

– دعكَ من هذا، ولْنحتفلْ بموت السراج.

صرخ السراج:

– لن يميتني شيء، وقلبي مملوء بالزيت.

قالت فاطمة لأمّها:

– لقد انطفأ السراج، أشعليهِ يا أمّاه، إنني أكرهُ

الظلام.

أشعلتِ الأمّ السراجَ، فنظر إليه الليــلُ، وهــو يتميّزُ من الغيظ، فقالت له الريح:

– لا تغضبْ يا صديقي، سأعودُ إليه، وأقضي عليه. وسرعانَ ما ثــارتِ الــريحُ، فأغلقــتِ الأمُّ النافذة، ليكونَ السراجُ في أَمان، فعجــزتِ الــريحُ عن الوصول إليه، ومكثَتْ خارجَ البيت، تــضربُ زجاجَ النافذة، وهي تهدّدُ وتعوي، والسراجُ يضحكُ ساخراً.. وبعد حين، فترتْ قوى الريح، فانصرفتْ يائسةً، تجرُّ أذيالَ الخيبة..

أما الليل، فقد لملمَ جيوشَهُ، وولّى الأدبار، قبل أنْ تبرزَ الشمسُ، ويسطعَ النهار.

☪☪☪

الكَرم والمعْصَرة

طافَ نعمانُ، في أرجاء كرمِهِ، ثم عــاد إلــى البيت، وقال لزوجته:

– لقد تلفَ عنبٌ كثير!

–وماذا ستفعل؟

–سأشتري معصرةً، لعصرِ العنب

– ومِنْ أين لنا ثمنها؟

– نبيع الكرمَ، ونشتريها

– يحرسُكَ اللهُ، يا أذكى الرجال!

باع نعمانُ كرمَهُ، واشترى معصرةً ضخمة..

مضَتْ أيّامٌ كثيرة، والمعصرةُ ساكنةٌ لا تعمل!

قالتِ الزوجة:

– يلزمنا عنبٌ، لتشغيل المعصرة.

قال نعمان:

– صحيحٌ والله!

– مشكلتنا صعبة

– ليستْ صعبةً أبداً

– هل عندكَ حلّ؟

– نعم، نعم

– ما هو؟

– نشتري كرماً

– ومِنْ أينَ لنا ثمنه؟

– نبيعُ المعصرةَ، ونشتري كرماً.
– يحرسُكَ اللهُ، يا أذكى الرجال!
اشترى نعمان كرماً، يحوي عنباً وافراً..
وبعدَ أيامٍ، قال لزوجته:
– ماذا سنفعلُ بعنبِ الكرم؟!
– لا أدري والله!
– اطمئنّي.. وجدتُ الحلّ
– ما هو؟
– نشتري معصرة
– ومِنْ أين لنا ثمنها؟
– نبيعُ الكرمَ، ونشتريها
– يحرسُكَ اللهُ، يا أذكى الرجال!
– وباعَ كرمَهُ، واشترى معصرة!!

سلمى تأكل الحروف الهجائية

كانتْ أمُّ سلمى تصنع الكعــكَ، وتبــدعُ منــه أشكالاً جميلة..

جاءتْ سلمى الصغيرة، أخــذت قطعــةً مــن العجين، وصارت تلعبُ بها..

قالت لها أُمّها:

- ماذا تعملينَ بالعجينة؟

- ألعبُ بها.

– لمَ لا تعملينَ شيئاً نافعاً؟

– ماذا أعمل؟

– هل تذكرينَ حرفَ "الدال"؟

– نعم، أذكرُهُ.

– اصنعيهِ من العجين.

– لماذا؟

– لكي أشويه لكِ.

غمر الفرحُ سلمى، وصنعتَ دالاً كبيرة.

أخذَتِ الأمُّ الدالَ، وزيّنَتْها باللوز، ثم أدخلتهـــا في الفرن..

نضجتِ الدالُ، وخرجَتْ مُحمَّرةً.

أسرعَتْ سلمى لتأخذها، فقالت لها أُمُّها:

–إنها ساخنة، دعيها تبردْ!

مدّت سلمى إصبعها، ولمستِ الدالَ الـــساخنة، فقفزَتْ وهي تصرخ:

– أخ!

قالتِ الأُمُّ:

– هذا جزاؤك.

– لماذا؟!

– لأنكِ لم تسمعي كلامي.

– كيف؟

– ألم أقل لكِ: إنها ساخنة؟!

أدركَتْ سلمى خطأَها، ومكثَتْ تنظرُ إلى دالها، فيسيلُ لها لعابُها..

وبردَتِ الدالُ، فالتقطَتْها الأُمُّ، وقدّمَتْها لابنتها، فجعلَتْ تأكلَها، وتقول:

– ما أطيبَ الدال!.. سأعملُ واحدةً أخرى.

– اعملي حرفاً آخر.

– أيَّ حرفٍ تريدين؟

– الحاء.

اقتطعَتْ سلمى عجينةً، وصنعَتْ حاءً كبيـــرة، وضعَتْ لها نقطةً في وسطها، وقالت لأُمِّها:

– هذه هي الحاء، فاشويها لي.

– لن أشويها.

– لماذا؟

– هذه جيم، لا حاء!

أطرقَتْ سلمى، تنظر إلى ما صنعَتْ، ثم أخذَتِ النقطةَ، ووضعتها فوق الحرف، وقبل أنْ ترفعَـــهُ، قالتِ الأُمُّ:

– هذه خاء!

تذكّرَتْ ســـلمى الحـــاءَ، فتناولَـــتِ النقطـــةَ، وعصرتها بيدها..

ابتسمَتْ أُمُّها، وقالت:

–هذه هي الحاء، وسأشويها لكِ.

قالت سلمى:

–ضعي فوقها السمسم.

ضحكتْ أُمُّ سلمى، ورشَّتِ السمسمَ على الحاء، ثم أدخلتها في الفرن مع الكعكِ.. وعندما أخرجتْهُ، اقتربَتْ سلمى، وشاهدَتِ الحاء، فراقَها منظرهـــا، ولم تدعْها تبردُ تماماً، بـــل رفعتهـــا إلـــى فمهـــا، وقضمَتْ نصفها، في لقمةٍ واحدة..

قالتِ الأُمُّ:

– كيف وجدْتِ الحاء؟

– إنها لذيذةٌ جداً.

–هل شبعْتِ الآن؟

– لم آكلْ سوى حرفين!

– بعدَ قليلٍ نتناولُ الغداء.

قالت سلمى:

– وماذا أعملُ الآن؟

– اكتبي وظيفتكِ الجديدة.

– أيّة وظيفة؟
– حرف "السين".. أنسيتِ ذلك؟
– آه.. تذكّرْتُ، تذكّرْت.
– قالتِ الأُمُّ مازحة:
– ولكنْ إيّاكِ أنْ تأكليه!
ضحكَتْ سلمى، وقالت:
– المعلِّمةُ تريدُهُ على الدفتر، لا في المعدة!!

هات وخذْ

الحياة أخذٌ وعطاء..

أمّا ذلك البخيل.. فلا يعرفُ العطاءَ أبــداً، ولا يحسن إلاّ الأخذَ، لذا كرهه كلُّ مَنْ عرفهُ.

إذا سمع أحداً، يقول له:

هات.

أصمَّ أذنيه، ومضى معرضاً، لا يلــوي علــى أحد، ولو كانَ المطلوبُ شربةَ ماء!

وإذا سمعَ أحداً، يقول له:

-خذْ.

بسط يدهُ طامعاً، ولو نال تراباً!

وكان يبخلُ على الناس، ويبخلُ على نفسه، فيقاومُ الجوعَ ما استطاع، حتى ينهدَّ حيلهُ، وتخور عزيمته، ويشعر بالخطر، حينذاك.. يذهب إلى السوق، فيشتري رغيفاً واحداً، ولا يشتري له إداماً، بل يأخذُ صنّارته، ويذهب إلى النهر، فيصطادُ سمكةً، ويحملها إلى مكان معزول، لا تقعُ عليه عينٌ، فيشوي السمكة، ويأكلها جميعها، لا يرمي منها رأساً ولا ذيلاً..

وفي هذا اليوم، مضى إلى النهر كعادته، وحينما وقف على الشاطئ، قفزَتْ أمام عينيه، سمكةٌ كبيرة، فلم يملكْ زمامَ نفسه، واندفع خلفها، يريد إمساكها، فزلقَتْ رجلُهُ، وهوى في النهر.. وكان لا يُجيد السباحةَ، فشرع يخبطُ بيديهِ،

ورجليهِ، ويصرخُ ويستغيث..

أسرعَ إليه، شابٌ غريب، وناداه قائلاً:

-هات يدَكَ.

غضبَ البخيلُ، عندما سمع كلمة "هات"، ولم يستجبْ للنداء.

وظلَّ الشابُّ يصرخ: هات يدَكَ!

والناسُ يصرخون: أعطهِ يدَكَ!

ومع ذلك.. لم "يعطِ" البخيلُ يدَهُ، ولم يكشف الناسُ سرَّ رفضه، فكاد يهلكُ غرقاً، لولا أنْ بادرَ إليه، رجلٌ من قَريتِه، يعرفُ أمرَهُ جيِّداً، فناداهُ قائلاً:

-خذْ يدي.

عندما سمعَ البخيلُ كلمةَ "خذْ"، سرعان ما مدَّ يدَهُ، وقبض على يد منقذِهِ، وخرجا معاً إلى الشاطئ..

حينذاك.. كشفَ الناسُ سرَّه، فتحلَّقوا حولَهُ،
وقالوا يُمازحونه:
-لماذا لم تعطِنا يدَكَ، ونحنُ نناديك؟!
قال البخيلُ حانقاً:
-أنا لا أُعطي أحداً شيئاً!
استغرق الحاضرون في الضحك، وشرعَ البخيلُ يلتفتُ
حولَهُ، ويسألُ مدهوشاً:
-لماذا تضحكون؟!

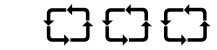

البالون الأحمر

صباحَ العيد.. اشترى سامرٌ، بالوناً أحمرَ، وطار إلى البيت، فرحاً مسروراً..

سألَتْهُ أخته سمر:

-ماذا اشتريْتَ يا سامر؟

-اشتريْتُ بالوناً أجملَ من بالونِك.

أخرج سامرٌ البالون، وضعَ فوهته على فمه، وبدأ ينفخ فيه..

أخذ البالون يكبرُ، شيئاً فشيئاً..
صار مثلَ بطيخة ملساء.
مازال سامرٌ ينفخُ، وينفخ، وينفخ..
تألَّمَ البالونُ، وقال:
– كفى نفخاً يا سامر!
– ولمَ؟
– لأنّكَ تؤلمني كثيراً.
– سأجعلكَ أكبرَ من بالون سمر.
– ولكنَّني لم أعدْ أحتمل.. يكادُ جلدي يتمزَّق!
– لا تخفْ، إنِّهُ ليِّن.
قالت سمر:
– سينفجر بالونكَ يا سامر!
– لماذا؟
– لأنّ الضغط الكثير، يُولِّدُ الانفجار

– أنت زعلانة لأنَّ بالوني أصبح كبيراً.

– لستُ زعلانةً، أنا أنصحكَ.

– لن أسمعَ نُصْحَكِ.

نفخ سامرٌ نفخةً جديدة، فدوَّى أمـــامَ وجهِـــهِ، انفجارٌ شديد..

ارتجف جسمُهُ، وانتابَهُ الذعر.

لقد انفجر البالون!

قعدَ سامرٌ، نادماً حزيناً، يرنو بحـــسرةٍ، إلـــى بالون سمر..

قالت سمر:

–أرأيت؟.. لم تصدِّقْ كلامي!

قال سامر:

–معكِ حقٌّ، لقد حمَّلْتُ البالونَ فوقَ طاقتِهِ.

البستان الأزرق

كانتْ سمكةٌ صغيرةٌ، تعيشُ في نهرٍ جميل..

النهرُ الكريمُ، غذّاها بطعامِهِ، وربّاها بحنانِــهِ، حتى صارتْ كبيرة.

السمكةُ لم تفارقِ النهرَ، ولــم تعــرفْ وطنــاً غيرَهُ. في مياهِهِ تسبحُ، وعلى أمواجِــهِ تــرقص، وفي أعماقه تغوص.

النهرُ يحضنها بين ضفتيهِ، كأنَّهُ أُمٌّ رؤوم.

عاشتِ السمكةُ، هانئةً سعيدة..

* *

ذاتَ يوم.. قالت لها الضفدعة:

– صديقتي السمكة!

– ماذا تريدين؟

– هل شاهدْتِ الأزهار؟

– لا.

– هل تعرفينَ الأشجار؟

– لا.

– اصعدي إلى الشاطئ.

– لماذا؟

– سأُريكِ أشياءَ جميلة.

– أين؟

– في البستان.

قالت السمكة:

– أيكونُ البستانُ أجملَ من النهر؟!

– نعم.

– أنا لم أرَ أجملَ من النهر.

– وهل خرجْتِ منه مرَّةً؟

– لا.

– اخرجي، وشاهدي بعينيكِ.

* *

قفزَتِ السمكةُ إلى الشاطئ..

وحينما صارتْ على الرمال، شعرَتْ باختناقٍ شديد..

أخذَتْ تتلوَّى، وتتقلَّب..

جمعَتْ قواها، وزلقَتْ إلى المـــاء.. وعنـــدما احتضنها النهر، عادت إليها أنفاسُـــها، وآبَ إليهـــا نشاطها، فبدأَتْ تغوصُ، وتقفزُ، فرحةً آمنة..

صاحتِ الضفدعةُ:

– لماذا رجعْتِ أيَّتُها السمكة؟!

– النهرُ وطني، ولن أتركه.

– اتركيه قليلاً، ثم تعودين إليه.

– لن أفعل.

– لماذا؟

– إذا تركْتُهُ فسوف أموت.

– لن تموتي.

– وما يدريكِ؟

قالت الضفدعة:

–أنا أعيشُ تارةً في الماء، وتارةً في البستان.

قالتِ السمكةُ:

–أنا ليس لي إلاّ وطنٌ واحد.

* *

انصرفَتِ الضفدعةُ يائسةً..
وانطلقتِ السمكةُ، داخلَ النهرِ، ترقصُ وتغنِّي:
يا نهري يا وطني الغالي
يا أحلى كلِّ الأوطانِ
لا أبغي غيرَكَ لي وطناً
فالموجُ الأزرقُ بستاني

الجائعون

في قديمِ الزمان.. عاشَ ملكٌ غريبُ الطبـــاعِ، يظلمُ أهلَ مملكتِه، ويسلبهم أمـــوالَهم، ويغـــصبهم محاصيلَهم، فأنهكَهم الفقرُ والجوع..

ذات يوم..

كانتِ الملكةُ تحادث الملك، فسمعتْ أصـــواتاً تستغيث..

أطلَّتْ من نافذة القصر، فرأَتْ على بابه ناســاً

كثيرين، أجسامهم هزيلةٌ، ووجوههم شاحبة..

شاهدَ الجائعون الملكةَ، فأخذوا يصرخون:

– نريدُ أن نأكل.

– نريدُ طعاماً.

– أشبِعونا يوماً واحداً.

– إننا جائعون.

– إننا جائعون.

رجعَتِ الملكةُ إلى زوجها، وقالت حزينة:

– إنَّني لأرحمُ هؤلاء.

– لا يستحقّونَ الرحمةَ

– أعطِهم بعضَ ما جنَوْهُ بعرقهم.

– لن أعطيهم شيئاً.

– سيهلكون جوعاً!

– لقد أجعْتُهم عمداً.

– لماذا؟!

قال الملك:

–جَوِّعْ كلبَكَ يتبعك.

قالت الملكةُ:

–جَوِّع كلبَكَ يأكلك.

ضحكَ الملكُ كثيراً، حتى ارتجَّ بطنُهُ المنفوخ..

قالت الملكةُ:

–أتضحكُ والناسُ يألمون؟!

شمخَ الملكُ بأنفه، وصاحَ بجنده:

–اطردوا الكلابَ عن بابِ القصر.

تراكضَ الناسُ مسرعين، والجنودُ يضربونهم بالسياط..

صبرَ الجائعون طويلاً..

افترسَ الجوعُ كثيراً منهم.

ماتَ أطفالهم علـــى أيـــديهم، وهـــم يطلبـــون الطعام..

نفدَ صبرهم.. اضطرمَتْ نفوسهم غضباً.

اقتحموا القصرَ، وقتلوا الملك.

فتحوا مخازنَهُ..

وجدوها ملأى بحبوبٍ، قضوا أعمـــارهم فـــي جمعها. حملوا منها ما استطاعوا، وعـــادوا إلـــى بيوتهم فرحين..

نظرَتِ الملكةُ، إلى زوجها القتيل، وقالت:

-نصحتكَ كثيراً، وما أصغيت!

وسالَ من عينيها، دمعتانِ حارّتان..

المِرْوَحَة

كانت هدى الصغيرة، تكنسُ أرضَ الغرفة..
اندفعَ الهواءُ، وبعثرَ ما كنسَتْهُ.
جمَعتِ الكناسةَ، مرَّةً ثانية.
هجمَ الهواءُ، وفرَّقها أيضاً!
أغلقَتْ هدى النوافذَ، وبدأَتْ تكنسُ من جديد..
تطايرَتِ الأوراقُ، في كلِّ الأرجاء!!

رمَتِ المكنسةَ من يدها، وهرعَتْ إلـــى أُمِّهـــا تبكي..

– لم أستطعْ كنسَ الغرفة!

– لماذا؟

– الكناسةُ رفضَتْ أنْ تجتمع.

– ولمَ رفضَتْ؟!

– لأنها عرفَتْ أنَّني صغيرة.

– ولكنَّ الكناسةَ ليس لها عقل!

– إذنْ لماذا تجتمعُ معكِ، ولا تجتمعُ معي؟!

– هل أغلقْتِ النوافذ؟

– نعم.. أغلقتها.

تعجَّبَتِ الأُمُّ، وقالت:

– تعالي واكنسي أمامي.

أخذتْ هدى تكنسُ، وأمُّها تراقبها..

هربَتِ القمامةُ، ودخلَتْ تحت الكراسي.

قالت هدى غاضبةً:

– أرأيْتِ.. لم تصدِّقيني!

ضحكتِ الأُمُّ طويلاً..

قالت هدى:

– لماذا تضحكين؟

– عرفْتُ مَنْ يضايقكِ

– مَنْ؟

– انظري.

– أشارَتِ الأُمُّ إلى المروحة..

نظرَتْ هدى إليها، فرأتها تدورُ بأقصى سرعة..

خجلَتْ هدى، وقالت:

– ما أغباني.. كيف لم أنتبه إليها؟!

أوقفَتِ الأمُّ المروحةَ، وشرعَتْ هدى تكــنسُ، وهي مسرورة..

النحل والدبور

عاشت النحلاتُ الصغيرات، عيشةً راضيةً هانئة، في خليّة جميلةٍ نظيفة..

وفي كلّ يوم..

يطرْنَ مع ضياء الصباح، إلى الحقول والأزهار، ينشدن فرحات:

هيّا نعملْ هيّا نعملْ

طعمُ العملِ مثلُ العسلِ

وتفرحُ الحقول، وتطربُ الزهور.. ويبدأُ العمل..

وتمضي كلّ نحلةٍ، من زهرةٍ لزهرة.

تطيرُ وتطير، وتجمعُ الرحيق

تعملُ تعملُ، دون رقيب.

وعندما تملأُ سلّتها، تطيرُ إلى الخليّةِ، حاملةً إليها، الطعامَ الطيّبَ، والرزقَ الحلال..

وسرعانَ ما تعود، خفيفةً نشيطة، تبحثُ عن رزقٍ جديد.. هكذا تقضي النحلاتُ النهار، في ذهابٍ وإياب، بين الخليةِ، وبين الأزهار..

وعندما يقبلُ الليلُ، يلتئمُ شملُ النحلاتِ، داخلَ الخليّة الحبيبة، فيتسامرنَ مسروراتٍ، ويَنمنَ مبكّراتٍ، يحلمْنَ بنشيد الصباح، وارتيادِ الأزهار.

وذاتَ يومٍ كئيب..

هاجمَ الدبّورُ الأحمرُ، خليّة النحلِ الجميلة..

اعترضَتْ له النحلةُ الحارسة، وقالت:

– مَنْ دعاكَ إلى خليتنا؟

– دعاني هذا العسلُ الطيّبُ

– العسلُ لمن يجنيهِ، وليس للغريب

– لن أكون غريباً بعد اليوم

– كيف؟!

– سأزورُ الخليّة، كلّما جعْتُ

– ولمَ لا تعملُ كما نعمل؟

– لا أحبُّ العملَ، ولن أعملَ أبداً

– ونحن لا نحبُّ الكسلَ، ولن نقبلكَ أبداً.

غضبَ الدبّورُ الكبير، وانقضّ على النحلة الصغيرة، فتركها جثةً هامدة..

وقفتْ في وجهه، نحلةٌ أخرى، فبطش بها أيضاً، وألحقها بأختها، ثم أخذ يلتهمُ العسلَ، بشراهة وجشع.. وعادتْ نحلةٌ من الحقول، ورأتْ ما يفعلهُ الدبور، فثارت عليه غاضبة، فقتلها قتلاً شنيعاً.

غادر الفرحُ الخلية، وغابَ نشيدُ الصباح.. وجعل الدبّورُ الظالمُ، يزرعُ الخوفَ، وينهبُ العسلَ.. جاءتهُ النحلاتُ شاكياتٍ، فلم يسمعْ لهنّ رجاء. كشفنَ له عن أحزانهنّ، فازداد قلبهُ قسوة. ذرفنَ أمامه الدموعَ، فضحكَ منهنّ ساخراً.

قالت نحلةٌ ذكيّة:

– الدمعُ لا يجدي، والحزنُ لا يفيد

– وما العمل؟

– نجتمعُ بالملكة، ونبحثُ في الأمر.

انتهزتِ النحلاتُ، فرصةَ غياب الدبور،

واجتمعنَ بالملكة سراً، وطلبْنَ إليها رأيهـــا، فـــي الخلاص من الدبّور.

قالت الملكة:

– أحبُّ أنْ أسمعَ آراءَ الجميع، قبلَ إعطاء رأيي.

قالت نحلةٌ ضعيفة:

– الدبور الأحمرُ، أكبرُ منا جسماً، وأكثـــرُ قوّةً:

قالت أخرى:

– لن نرضى بالظلم، وإنْ كنا صغيرات

قالت ثالثة:

– إنّ ما نكسبهُ بالجهدِ والـــشقاء، يغـــصبُهُ الدبّورُ بلا عناء.

قالت نحلةٌ جريئة:

– لا بدّ من الثورة عليه.

قالت نحلةٌ يائسة:

– لقد ثارت أخواتنا، فأذاقهنّ الموت!

نفدَ صبرُ الملكة، فوقفتْ قائلة:

– لقد ثرنَ متفرقـــات، ونحلـــةٌ منفـــردةً لا تصنع ثورة.

– أرشدينا إلى ما نعمل.

– يجب أنْ تثرْنَ جميعاً، وفي وقتٍ واحد.

قالت نحلةٌ كبيرة:

– هذا هو الرأيُ الصائب.. نتعـــاونُ فـــي جمعِ العسلِ، ونتعاونُ في حمايته.

فرحَتِ النحلاتُ، بخطةِ الملكة، وأجمعْنَ على تنفيذها.

وعندما جاء الدبورُ الأحمـــرُ، وصـــار يلـــتهمُ

العسلَ، هجمتْ عليه النحلاتُ، وأحطْنَ به من كـلّ الجهات.. نحلةٌ تلسعُهُ، ونحلةٌ تضر بـهُ، ونحلـةٌ تجذبُهُ، حتى لفظ أنفاسه، وفارقَ الحياة..

جرّتهُ نحلاتُ النظافةِ، وألقينَ به بعيداً. وعـادَ الفرحُ إلى الخلية.

وابتهجتِ النحلاتُ بهذا الانتصار.

واحتفلنَ بزوال الظلمِ والاستغلال.

ونمْنَ تلك الليلة مسرورات.

وفي الصباح الباكر، طارتِ النحلاتُ مع الضياء، إلى الحقولِ والأزهار، ينشدنَ فرحات:

هيّـا نعمـلْ هيّـا نعمـلْ

طعـمُ العمـلِ مثـلُ العسلِ

لا.. لا نرضـى فـرداً يكسلْ

الناطور

في قريتي أرملةٌ عجوز، لا تملكُ سوى كــرمِ عنب.. ذات يوم، عندما كانت في الكرم، جاءهــا ثعلبٌ ماكر، حيّاها بأدب، وقال:

– لماذا تتركين كرمك بلا ناطور؟

– لم أجدْ أحداً ينطره

– أنا أنطره لكِ، وأحرسه وأصونهُ

– أتقسم لي أنكَ ستكونُ أميناً؟

– أقسم بشر في أنْ أكون أميناً؟

قالت العجوز:

– الآن أنصرفُ مطمئنة القلب

غابت العجوزُ زمناً، ثم رجعت إلى الكـــرم، وتفقدّت الدوالي، فوجدت العنب ناقصاً.

قالت للثعلب:

–مَنْ سرق العنب.؟

قال الثعلب:

– سأقول الحقيقة، فأنا لا أعرف الكذب

– قلْ .. لا تُخفِ عنّي شيئاً

– لقد انتهــز اللــصوصُ فرصـــة صـــلاتي وخشوعي، و..

– وهل تصلّي؟

– منذ صغري أواظبُ على الصلاة

– سأسامحك هذه المرة

غابت العجوز أياماً، ثم ذهبت إلـــى الكـــرم، فألفت العنب ناقصاً.

قالت للثعلب:

– لقد سُرِق من العنب، فهل لديك عذرٌ جديد؟!

– عذري واضح.

– ما هو؟

– بعت من العنب، لأبني سياجاً للكرم

– ولمَ السياج؟

– ليحفظ الكرم من اللصوص.

– ما أكثر ذكاءك يا أبا الحصين!

– ولكنّ العنب سينقصُ باستمرار

– لماذا ؟

– لأن السياجَ يكلفنا الكثير

– افعل ما تريد، ولن أعارضك

انصرفت العجوز مسرورة، ونامت قريرة العين، فالسياج سيحمي كرمها من اللصوص..

عند الفجر، نهضت من نومها، وذهبت إلى الكرم، وحينما وصلت إلى طرفه، سمعت خشخشة، في إحدى الدوالي، فحبست أنفاسها، وتسللت على رؤوس أصابعها.. صارتْ فوقَ الدالية.. رفعتْ عكازتها، وأهوتْ بها على اللص..

ظلّتْ تضربُ، وتضربُ، وتضربُ، حتى طرحتهُ جثةً هامدة، وأخذتْ تصيح:

-يا أبا الحصين.. تعالَ بسرعة، لقد أمسكتُ اللص!

نادتْ كثيراً، ولم يردّ عليها أحد.

سحبتِ اللصّ من تحت الدالية، ثم حملقتْ إلى وجهه، فانتابها دهشٌ شديد.. فاللصّ هو الناطور!!

قالت غاضبة:

– آه ما أغباني.. لقد ضيّعتُ كرمي بجهلي!

وانهالت على وجهها تلطمه، وعلـــى شـــعرها تنتفُهُ، حتى أنهكها التعبُ، فتهالكت علـــى الأرض، تلهثُ وتقول:

– هذا جزاء من يـــصدّق أنّ الثعلـــب ينطـــرُ العنب!

رأس الثور

أفلت الثور من حمود، وانطلق مهرولاً حتـــى بلغ المنزل، فنطح الباب بقرنيه، ودخل يبحث عمّا يروي ظمأه..

تشمّم جرنَ الماء.. لم يجدْ قطرةً تبـــلُّ ريقـــهُ، اندفع يطوفُ في الفناء، شاهد خابية كبيرة، أدخـــلَ رأسهُ فيها، وشرب ما وجده في قعرها، وحينمـــا أرادَ إخراج رأسه، لم يستطعْ!

رفع رأسه إلى الأعلى، فارتفعت معه الخابية، كأنّها طربوشٌ كبير..

هزّ رأسه يمنةً، ثم هزّه يسرةً، ولكنّ الخابية لم تسقطْ، وظلّ رأسهُ حبيساً داخلها..

وصل حمود إلى البيت، ورأى الخابيـــة فـــي رأس الثور، فأمسكهُ من زمامه، ريثمـــا وصـــلت زوجته، فأسلمها الزمام، ثم حاول بكلتـــا يديـــه أنْ ينتزع الخابية..

قالت الزوجةُ متوسّلة:

– على مهلكَ يا حمود، إياكَ أنْ تكسرها، لا يوجد مثلها الآن.

حاول الزوج وداور، بيـــد أنّـــهُ عجـــز عـــن إخراجها..

قالت الزوجة:

– انتظر قليلاً، سأدعو أبا شـــهاب، حـــلاّل

الصّعاب.

– أخاف أنْ يُخجّلكَ ولا يأتي..

– لا تخفْ.. سآتيكَ به فوراً..

– إذنْ انطلقي بسرعة، قبل أنْ يدعوهُ غيرنا

هرعت الزوجة إلى بيت أبي شهاب، تدعو الله راجيةً أنْ تجدهُ..

وكان حظها كبيراً، فعادت إلى زوجها، وبصحبتها أبو شهاب..

قال حمود:

–أبوس شاربك يا أبا شهاب.. الخابية الخابية!

وقالت الزوجة:

– أرجوك يا أبا شهاب.. نريدها سليمة.

قال أبو شهاب:

– يسيرة.. يسيرة

– كيف؟!

– اذبحوا الثور، فتبقى الخابية سليمة.

بعد ذبحِ الثور، سقط رأسهُ في قعر الخابيـــة.. حاول حمودُ إخراجه، فلم يقدر!

حاولت الزوجة إخراجه، فلم تقدر!

قال حمود:

– لم تنحلّ المشكلة، فالرأسُ لم يخرج!

قال أبو شهاب:

– اكسروا الخابية، فيخرج الرأسُ

كسرتِ الخابية، وأخرجَ الرأسُ..

قال حمود غاضباً:

– خربتَ بيتنا يا أبا شهاب!

قال أبو شهاب:

– أهذا جزاء المعروف؟!.. وحياتك لن أحـــلّ لكم مشكلةً بعد اليوم.

قالت الزوجة:

– لا تغضب ياحمود!

قال حمود:

– كيف لا أغضبُ، وقد ذُبحَ الثور؟!

قال أبو شهاب:

– ذبحته لتبقى الخابيةُ سليمة.

قال حمود:

– ولكنّ الخابيةَ انكسرَتْ!

قال أبو شهاب:

– كسرتها لأخرجَ رأسَ الثور.

سكتَ حمودُ حائراً، فتركه أبو شهاب، وعاد إلى بيته، وحمود يلاحقه بنظراتٍ لاهبة، حتى غاب عن عينيه، فأسرع إلى ثوره، واحتضنه بذراعيه، وأخذ يقبلهُ، ويمرّغُ وجهه عليه، وفجأة.. انتفض واقفاً، تلفّت حولهُ، شاهد عصاً غليظة،

التقطها ســـريعاً، وانطلـــق راكـــضاً، وراء أبـــي شهاب.. لا تسألوني ماذا حصل بعد ذلك، لأنكـــم تعرفونه، ولكنْ أجيبوني عن هذا السؤال:

– لو دعاكم حمود إلى حلّ مشكلته، فكيـــف تحلّونها له؟ فكرّوا قليلاً..

عشّ العصفورة

عادَ الربيعُ البديع..

الروابي تزهرُ، والألــوان تفــرحُ، والطيــور تغرّدُ، وخرجَ أسامةُ، إلى حقــل أبيــه، فــشاهدَ عصفورةً جميلة، تبني عشاً، على شجرةِ كرز..

كانت تطيرُ بعيداً، ثم تعــودُ إلــى الــشجرة، حاملةً قشّةً صغيرة، وبعد أنْ تضعها، في مكانهــا من العش، تغادرُ الشجرة، وتطيرُ ثانيــةً، لتجلــبَ

قشةً جديدة..

أشفقَ أسامةُ على العصفورة، وقال:

– مسكينةٌ هذه العصفورة، ستتعبُ كثيراً، حتى تبني عشّها، قشةً قشّة!

وخطرَ لأسامة خاطرٌ، فأشرق وجههُ فرحـــاً، وقال:

– سأصنع لها عشاً، وأريحها من التعب.

انطلقَ أسامةُ مسرعاً، يجمع قـــشاً، وعـــشباً، وعيداناً، و..

وضعَ ما جمعه، بين يديه، وأخذ يبني عشاً..

تعبَ أسامةُ، في بناء العش، فقد كان يـــصلحه من جانبٍ، فيخربُ من جانبٍ آخر..

قال في نفسه:

– ما أصعبَ بناءَ الأعشاش!

ولكنّ أسامةَ، ظلّ يعملُ، حتى نجح، وبنى عشاً جميلاً، حملهُ علـــى راحتيـــه، وذهـــب بـــه إلـــى الشجرة، وركزَهُ على أغصانها، ثـــم نظـــر إليـــه مسروراً، وقال:

– بعد قليل، تعودُ العصفورةُ، وتـــرى عـــشاً جاهزاً،

فتفرحُ به كثيراً، وتنتقلُ إليه، وتضعُ بيـــضها فيه.

وعادَ أسامةُ إلى بيتـــه، وانـــشغل بدروســـه، وأصحابه، وألعابه، ونسي العشّ والعصفورة.

وجاءَ الصيفُ، وأينع الثمرُ، فذهب أسامةُ، مع والده، إلى الحقل، وحينما شاهد الكـــرزة، تـــذكّر العشّ، وأسرعَ ليراه، فوجدهُ خراباً!

صار يتلفتُ محزوناً، فرأى عشاً آخر، جمـــيلاً

متيناً..

قال في نفسه:

– هذا عشُ العصفورة

صعد الشجرة، وأنزل العشّ، وذهب إلى والده، وقال:

– ما رأيتُ أحمقَ من تلك العصفورة!

– أيّ عصفورة؟

– العصفورة التي بنتْ هذا العش.

– كيف عرفتَ أنها حمقاء؟

– لقد بنيتُ لها عشاً، لتسكنَ فيه، فعافته، وأتعبتْ نفسها، في بناء عشها!

قال الأب:

– العصافير لا تسكنُ إلاّ في أعــشاشها، ولا تستولي على أعشاش غيرها.

أطرق أسامةُ، يفكّر في كلام أبيه، ثــم رفــع رأسهُ، وقال:

– ليت الناس، يكونون مثلها!

– لو أنصفوا، لكانوا مثلها.

وشرع أسامةُ، يتفحصُ العش، الذي يحملــه، فوجده مُبطّناً، بقطنٍ مندوفٍ، وريشٍ ناعم، فقــال لأبيه:

– لماذا وضعت العــصفورةُ، هــذا القطــنُ والريشَ، داخل عشها؟

– وضعته لتدفئ بيضها، وتحميه من الكــسر، وليكون فراشاً وثيراً، لفراخها الصغار.

– مّنْ علّمها ذلك؟!

– لقد ألهمها اللهُ، كلّ ما تحتاجُ إليــه، فهــي تعرفُ بغريزتها، ما ينفعها وما يضرّها.

– يا لها من عصفورةٍ ذكية!

قال الأب:

– هل كان العشّ الــذي بنيْتَــهُ، مثــل عــشّ العصفورة؟

قال أسامة:

– عشّ العصفورة أجمل!

المرآة

اقتربَ أبو حمود، من رفِّ البيت، فوقع بصره، على شيء لامعٍ مستدير.

قال لزوجته:

– ما هذا الذي يلمعُ على الرفّ؟

– هذه مرآة.

– من أين جاءتنا؟

– اشتراها لنا ابنك عثمان

مدَّ أبو حمود، يده المعروقة، والتقط المـــرآة، وتفرَّس في صفحتها، فانتابه ذعرٌ وخوف، إذ رأى وجهه منتفخاً متورّماً!

ألقى المرآة من يده، وقال لزوجته واهناً:

-افرشي لي الفراش يا أمّ حمود!

- ما بك؟

- أشعرُ بمرض وفتور

اندسّ أبو حمود في فراشه، وقعـــدت زوجـــه قربه..

- أتريد أنْ نأخذكَ إلى الطبيب؟

- لا..لا.

- ماذا أعمل لك؟

- ابعثي لي الأولاد

- ما الأمر؟ خبِّرْني

- أريدُ أنْ أراهم، قبل أنْ أموت

بعد قليلٍ، كان الأولاد الأربعة، يتحلّقون حولَ فراشِ أبيهم..

قال كبيرهم:

– ما بكَ يا أبي؟

– أتسألني ما بي.. ألا ترى وجهي المتورِّم؟

– لا أرى أيّ ورم.

وقالت الزوجة:

– وجهك اليوم، كوجهك البارحة

قال أبو حمود:

– لا تحاولوا إيهامي بأنّني سليم.. الموتُ حقّ يا أبنائي!

قال خالد:

– يا أبي، والله العظيم، ليس بوجهك ورم!

– لن أُكذِّبَ عيني وأصدقكم!

– هل رأيتَ وجهكَ؟

– نعم، رأيته.

– كيف؟

– نظرت في المرآة التي اشتراها عثمان

ضحك عثمان، وقال:

– ها ها.. الآن فهمت الأمر، لقد نظر في وجهها المُكبِّر وسرعان ما نهض، وأحضر المرآة، ثم قرَّبَها من والده، وقال له:

– انظر إلى وجهك

تفرَّسَ أبو حمود في المرآة، وما لبث أن قال مدهوشاً:

– الآن أصدِّقكم، لقد زال الورم!

قلب عثمانُ المرآة، وقال لوالده:

– انظر الآنَ أيضاً

أعاد أبو حمود النظر، فأبصر وجههُ منتفخاً.. صاح مرتاعاً:

– عاد الورم!

صار عثمان يقلبُ المرآة، تارةً على وجهها الأوّل، وتارةً على وجهها الثاني، ووالدهُ مرّةً يقول: زال الورم، ومرّةً يصيح: عاد الورم!

استغرق الأبناء في الضحك..

قال أبو حمود:

– لا تجننوني.. ما الحكاية!

قال عثمان:

– هذه المرآة بوجهين، كلّ وجهٍ يُظهرُ الصورةَ بحجمٍ مختلف.. قال أبو حمود:

– ناولني إيّاها

وحينما صارت المرآةُ في يده، ضربَ بها الأرض، فتناثرت شظايا صغيرة..

قال عثمان:

– لماذا كسرتها؟!

- لأنني كرهتها
- ولمَ كرهتها؟
قال أبو حمود غاضباً:
- لو كان أخي بوجهين لكرهتُهُ!!

☒☒☒

الشـــهيد

في أحدِ الأيام، وقفَ معلّمٌ عجوز، أمامَ تلاميذه الصغار، وسألهم قائلاً:

– ما اسم مدرستنا يا أبنائي؟

– مدرسة الشهيد: أحمد إبراهيم

– أتعرفون شيئاً عن أحمد؟

صمت التلاميذ حائرين..

قال المعلم:

– اسمعوا يا أبنائي، قصة أحمد، ابن قريتكم..

أنصتَ التلاميذ، وفتحوا عيونهم.

تابع المعلم كلامهُ:

– كان أحمدُ تلميذاً مجداً، وأنا علّمتهُ، في هذه المدرسة، وكان يحبّ رفاقهُ، ورفاقهُ يحبونه.

وكان يحبّ وطنه، ويحبُّ أرضه

وقد بذلَ دماءهُ، دفاعاً عن وطنه وأرضه.

سأل التلاميذُ مدهوشين:

– كيف؟!

قال المعلّمُ العجوز:

– كان أحمد ضابطاً في الجيش، حينما اشتعلت الحربُ، بين العربِ واليهود، وعندما حاولوا التقدُّمَ، في أرضنا الحبيبة، أمطرهم بوابلٍ من القذائف، وردّهم مدحورين..

– وهل ماتَ في هذه المعركة؟

– نعم يا أبنائي، لقد سقط شـــهيداً، فاحتـــضن الأرضَ، وهو يبتسم.

– اليهود قتلوه؟

– نعم يا أبنائي.. لقد قتله اليهود

– وماذا جرى بعد ذلك؟

قال المعلم العجوز:

– وعاد أحمدُ الشهيد إلى قريتـــه، يـــصحبهُ رفاقُهُ الشجعان، من الضباط والعساكر، فخرجـــت القريةُ كلّها، تستقبل الشهيد، وقرأ الضابط الورقة، التي وجدوها في جيب أحمد..

– وماذا كان فيها؟

– اسمعوا يا أبنائي، ما كتبه أحمـــدُ، قبـــل أنْ يموت..

والدي العزيز..

هذا أوّلُ أيامِ الحرب

سأُقاتلُ بشجاعة، ولن أتراجعَ أبداً
سأبذلُ دمائي، دفاعاً عن أرض الوطن
فالأرض تحتاجُ إلى مَنْ يزرعها، كما تحتاج إلى مَنْ يحميها.
إنني مسرورٌ، فلا تحزنوا عليّ.
وإذا ما متّ، فادفنوني تحت شجرة اللوز.

الجَبَل

- يا أحمد.. يا أحمد!
- ما بكَ يا جدِّي؟
- أسنِدْني قليلاً.

أسرعتُ إلى جدِّي، وأمسكتُهُ بيدي..

سرنا بضعَ خطواتٍ، وعندما انحنى ليقعدَ، وقعَ تحت شجرة اللوز!

ضحكْتُ عن غير قصد..

اعتدلَ جدِّي، وقال معاتباً:

- أتضحكُ منِّي يا أحمد؟!
- لا تؤاخذْني يا جدِّي!

– حسناً.. اقعدْ بجانبي.
– لن أقعدَ إلا إذا سامحتني.
ابتسم جدّي، وقال:
– كيف لا أسامحك، وأنا أحبُّكَ؟!
طوّقتُهُ بذراعيَّ، وقبّلتُهُ قائلاً:
– وأنا أحبُّك كثيراً.
– أعرف ذلك.
مسحَ رأسي براحتِهِ، وهو يقول:
– جدُّكَ كان أقوى من الصخر.
– كيف؟!
– أما شاهدْتَ الجبلَ الأبيض؟
– شاهدْتُهُ كثيراً.
قال جدّي فخوراً:
– لقد كسَّرْتُ صخورَهُ بيديّ هاتين.

– لماذا؟

– لنبني البيتَ الذي تسكنه.

قلْتُ مدهوشاً:

– وهل حجارةُ بيتنا، من الجبل الأبيض؟!

– نعم يا بني!

– كنتُ أظنُّ أنَّ الجبلَ لا نفعَ فيه.

– لماذا؟

– لأنّهُ صخرٌ، لا يصلحُ للزراعة.

قال جدّي:

– الجبلُ أنقذَ أهلَ القريةِ من الموت.

– كيف؟

قال جدّي:

– كانت بيوتُ قريتنا من الطين، وحينما يـــأتي الشتاء، نأوي إليها خائفين.

– لماذا؟

– لأنَّها كانت تنهارُ على أصحابها.

– ولمَ تنهار؟

– من كثرةِ السيولِ والأمطار.

– وهل ماتَ أحد؟

قال جدّي حزيناً:

– نعم يا بني.. لقد ماتَ عددٌ من أفراد القرية، بينهم نساءٌ وأطفال.

– وماذا عملتم؟

– نبشناهم من تحت الركام، وحملناهم إلى المقابر.

– هذا كلُّ ما عملتموه؟!

– لا.. يا أحمد!

– ماذا فعلتم أيضاً؟

قال جدّي:

– ذهبْتُ أنا وبــضعةُ رجــالٍ، إلــى الجبــل الأبيض، وبدأْنا نقطعُ الصخور، ونبني البيوت من جديد.

– هل سقط بيتٌ بعد ذلك؟

– لم يسقطْ أيُّ بيت.

سألْتُ جدِّي:

– وأبنيةُ المدينةِ من الجبال؟

– كلُّ الأبنيةِ من الجبال: البيوت، والمدارس، والمستشفيات، و...

– لا تكملْ يا جدِّي، سأُحبُّ صخورَ بــلادي، كما أحبُّ ترابها.

رفع جدِّي رأسهُ، وقال:

– الأرضُ خيرٌ كلُّها يا بني!

الشمس والنافذة

سلمى بنتٌ صغيرة، تعيشُ مع أُســرتها، فــي بيتٍ قديم، في القدس العربية..

سلمى تحبُّ البيتَ كثيراً، تحت سقفه الحنــونِ، تجتمعُ إلى أفــراد أُســرتها، وتــسمعُ الحكايــاتِ الجميلة، فيرفرفُ الحبّ حولها، وتنامُ هانئةً آمنة..

وفي الصباح، تدخلُ الشمسُ البيتَ، من نافذته الشرقية، وتمدّ أناملها الحانية، فتداعبُ وجهَ سلمى،

حتى توقظها من نومها..

تنهضُ سلمى نشيطةً، وتذهبُ إلـــى مدرســـتها مسرورة.

وذات يومٍ كئيب، جاء جنودُ إسرائيل، وســـدُّوا نافذةَ البيت، بالأَسمنت المسلَّح.

عادتْ سلمى من مدرستها، فوجـــدتِ البيـــتَ مظلماً، والنافذة مسدودة!

سألَتْ عمّا حدث، فأخبرتها أُمُّها بالحقيقة.

غضبتْ سلمى، وثارتْ ثائرتها، ثـــم شـــرعَتْ تبكي..

احتضنتْها أُمُّها، تمسح لها دموعَها، وتقول:

– النوافذُ المسدودةُ كثيرةٌ يا حبيبتـــي، ولـــن نفتحها بالدموع!

هدأت سلمى، مقتنعةً بما سمعت، وكفَّتْ عـــنِ البكاء..

أقبل صباحٌ جديد، ولم تدخلِ الشمسُ البيــت، فبدا مظلماً حزيناً.. وعندما خرجَتْ سلمى، لتذهبَ إلى مدرستها، وقفَتْ في الشارع، تنظرُ إلى النافذة المسدودة، فرأت الشمسَ، تستريحُ عندها، متــشبثةً بالجدار..

ابتسمَتْ سلمى فرحةً، فالجنودُ لا يــستطيعون اعتقال الشمس.

وستظلُّ تزورُ البيتَ، وتنتظرُ عندَ النافذة..

وتساءلَتْ سلمى قلقة:

–هل يطولُ انتظارُ الشمس؟!

ومرَّ بها جماعةٌ من المُلثّمين، فاقتربَ أحــدهم منها، وقال لها:

–مالكِ واقفة.. أسرعي إلى مدرستكِ.

قالت سلمى في نفسها:

– هذا الصوتُ ليس غريباً!

– ألا تسمعينَ ما أقول؟!

– وما علاقتكَ بي؟!

– أنا أخوكِ أحمد.

حملقَتْ سلمى إلى أخيها، فلم ترَ سوى ظهرِهِ، لقد لحقَ بالملثّمين، وانــدفع الجميــعُ كالأشــبالَ، يقذفون بالحجــارة جنــدَ الاحــتلال، لا يرهبــون السلاحَ، ولا يخافون الموت..

رمقَتْهم سلمى بإعجاب، ثم انطلقَــتْ وراءهــم فرحةً، وهي تقولُ في سرِّها:

–لن يطولَ انتظارُ الشمس.. لابدَّ أنْ تــدخلَ كلَّ البيوت، على الرغم من أعداء النور!

○ ○ ○

الرصاصة والحجر

على رصيفِ شارعٍ، في القدسِ العربيةِ، التقى حجرٌ ورصاصة..

قال الحجر:

– ماذا تفعلينَ هنا أيتها الرصاصة؟!

– أطلقَني جنديٌّ إسرائيليٌّ، على طفلٍ فلسطيني، و..

– هل أصبْتِهِ بأذى؟

– لقد أصبْتُهُ إصابةً خطرة.
– أما تخجلين من فعلتِكِ هذه؟!
– إنني أفخرُ بذلك.
– وهل قتلُ الأطفالِ مفخرة؟!
قالتِ الرصاصةُ حانقة:
– كان الطفلُ يرمي الجنديَّ بالأحجار.
– إنهُ يدافعُ عن حقوقه.
– ليس له أيُّ حقٍّ.
– ولمن الحقُّ إذاً؟!
– الحقُّ للأقوى.. الحقُّ للرصاص.
قال الحجرُ غاضباً.
– سأقضي عليكِ أيَّتها الظالمة!
ضحكَتِ الرصاصةُ، وقالت هازئةً:
– الأحجارُ لا تغلبُ الرصاص.

– لستِ سوى رصاصةٍ فارغة.

قالتِ الرصاصة:

– لقد أفرغْتُ حشوتي القاتلـــة، فـــي صـــدر الطفل.

– وصرْتِ عاجزةً عن القتـــال، كأنَّـــكِ مـــن الأموات.

– ولكنَّني أدَّيْتُ مهمَّتي.

– ضربْتِ مرَّة واحدة، وانتهيْتِ إلى الأبد.

– وأنتَ ستنتهي.

قال الحجرُ واثقاً:

– لقد ضربْتُ جنداً كثيرين، ومازلْـــتُ صَـــلْداً قوياً، وسأظلُّ أضربُ، وأضربُ..

– لا تكنْ مغروراً، فما أنتَ إلاّ حجرٌ حقير.

انتفضَ الحجرُ ثائراً، وطرقَ الرصاصةَ بقوَّةٍ، فأطبقَ فمها، وأزهقَ روحها..

ومرَّ طفلٌ فلسطيني، فالتقطَ الحجرَ من الرصيف، وقذفَ به جنودَ الأعداء، فطار إليهم بلا جناح، يهتفُ عالياً:

-الأحجارُ لا تموت!

- الأحجارُ لا تموت!

الأبْلَه

كان "سمعان" رجلاً أبلهَ، يعيشُ مع أمِّهِ العجوز

لم يكنْ يؤذي أحداً بيده، وإنما يؤذي الناسَ بلسانه، وهو لا يدري، لأنَهُ لا يعلمُ أنَّ لكلِ مقامٍ مقالاً يناسبُهُ، فقد يُهنئُ أهلَ الميت، ويُعزِّي أهلَ العروس، و.. لذلك كانت أُمُّهُ، لا تسمحُ له بالخروج من البيت.

ملَّ سمعانُ القعودَ في البيت، فتوسَّل إلى أمِّهِ، لكي تدعهُ يخرج..

رقَّ قلبُ العجوز، فأذنَتْ لـه بالخروج، وأوصَتْهُ قائلةً:

-إيّاكَ أنْ تؤذي أحداً بكلامك!

كاد سمعانُ يطيرُ فرحاً، فقبّلَ رأسَ أُمِّهِ، وقال:

- ماذا تريدينَ أنْ أقُول؟

- اسكتْ.. لا تتكلَّمْ.

- ما أسهلَ هذا!

لم يفهمْ سمعانُ ما تعنيهِ أُمُّهُ، وانطلقَ خارجاً من البيت، يسيرُ في الشارع، ويقول:

-اسكتْ.. لا تتكلَّمْ، اسكتْ.. لا تتكلَّم..

مرَّ ببائعٍ جوال، يدفعُ عربتهُ، وينادي بصوتٍ رخيم:

– رمّان، رمّان.. حلو ريّان.

– اسكتْ.. لا تتكلَّمْ.

– رمّان، رمّان.. حلو ريّان.

– اسكت.. لا تتكلَّمْ.

– رما..

– اســـ..

نفدَ صبرُ البائعِ، فانهال على سمعان، يضربُهُ، ويقول:

– سأقطعُ لسانكَ، إذا أعدْتَ ما تقول.

لم يقاوم سمعانُ البائعَ، بل قال له:

– ماذا تريدُ أنْ أقول؟

– قل: ما أحلى هذا الصوت!

سار سمعانُ في طريقِهِ، وهو يردِّد:

– ما أحلى هذا الصوت!

وقف عندَ حمارٍ ينهقُ، وظلَّ يقول:

– ما أحلى هذا الصوت!

قال أحدُ العابرين:

– لا تقلْ هذا يا أبله!

– ماذا تريدُ أنْ أقول؟

– قل: أبعدَهُ اللهُ، ولا أسمعَنا صوتَهُ.

انطلقَ سمعانُ، وهو يردِّد:

– أبعدَهُ اللهُ، ولا أسمعنا صوته.

التقى جنازة ميِّت، ومازال يقول:

– أبعده الله، ولا أسمعنا صوته

غضبَ أهل الميت، وأحدقوا بسمعان، يضربونهُ، ويقولون:

– لا أبعدَ الله غيركَ، وإياكَ أنْ تعودَ إلى قولك!

قال سمعان:

– ماذا تريدون أنْ أقول؟

– قل: رحمَهُ اللهُ، ما كان أكرمَهُ!

تابعَ سمعانُ سيرَهُ، وهو يردِّد:

– رحمه اللهُ، ما كان أكرمه!

شاهدَ رجلاً، يُلقي على القمامة، فـــأراً ميتـــاً، فوقف على رأسه، وهو يقول:

– رحمه اللهُ، ما كان أكرمه!

التفتَ الرجلُ إليه، وقال غاضباً:

– لا تقلْ هذا، وإلاّ ألحقتُكَ بالفأر.

– ماذا تريدُ أنْ أقول؟

– قل: ما أنتنَ رائحته!

مشى سمعانُ، وهو يردِّدُ:

– ما أنتنَ رائحته!

وقف أمام حانوت عطّار، يرنو إلى العطــر، ويقول:

– ما أنتن رائحته!

خرج إليه العطّارُ، رفعَ قبضته، وقال:

– سأُحطِّم رأسكَ، إذا قلتَ هذا الكلام.

– ماذا تريدُ أنْ أقول؟

– قل: ما أطيبه.. ما أطيبه!

راح سمعانُ يردِّدُ ما قالَــهُ العطّــارُ، فــرأى رجلينِ يتضاربانِ، وقف قربهما، يتفرّجُ عليهمــا، وكلَّما اشتدَّ بينهما الضربُ ، قال:

– ما أطيبه.. ما أطيبه!

ترك الــرجلانِ القتــالَ، وشــرعا يــضربانِ سمعان.. كان سمعانَ، يتألّم من الضرب، ويقول:

– ما أطيبه.. ما أطيبه!

اكتشفَ الرجلانِ حمقَهُ، فأشفقا عليه، وقالا له:

– انصرفْ عنا، ولا تقلْ هذا الكلام.

– ماذا تريدانِ أنْ أقول؟

– قل: يا ناس أصلحوا بين إخوانكم.

تابعَ سمعانُ مسيرَهُ.. مرَّ بكلابٍ تتعاركُ، وقف عندها، وهو يقول:

– يا ناس أصلحوا بين إخوانكم.

اجتمع عليه بضعةُ رجال، فأشبعوهُ ضرباً، وهو يلتفتُ يمنةً ويسرةً، ويقولُ مدهوشاً:

– على أيِّ أمرٍ تعاقبونني؟!

– نعاقبكَ على قولكَ السخيف.

– ماذا تريدون أنْ أقول؟

قال له شيخٌ حكيم:

– اسكتْ.. لا تتكلَّمْ.

صاحَ سمعانُ فرحاً:

– آه.. هذا ما أوصَتْني به أُمِّي!

وعادَ سمعانُ إلى البيت، وهو يردِّد مسروراً:

– اسكتْ.. لا تتكلَّمْ.

– اسكتْ.. لا تتكلَّمْ.

الحبّ والحريق

ظلَّ الأرانبُ الثلاثة –بعد موتِ أبيهم وأمهـم– يسكنون في جحرهم القديمِ، المحفورِ فـي جـوف الأرض..

وفي أحد الأيام، دارَ بينهم هذا الحوار:

– مللْنا من العيش، في هذا البيتِ المظلم.

– صدقْتَ يا أخي، فالشمسُ لا تدخلُهُ أبداً.

– والوحوشُ تدوسُهُ بأرجلها.

– لمَ لا نبني بيتاً على ظهر الأرض؟!
– نخافُ الموتَ والخطر!
– سنموتُ في بطــن الأرض، إذا قــضينا عمرنا خائفين.
– بماذا تشير؟
– نتركُ الخوفَ في الجحر، ونخرجُ إلــى النور.
– هيّا نخرجْ.
– هيّا نخرجْ.

* * *

غــادر الإخــوةُ جحــرهم، وســاروا وهــم يتحادثون..

قال أحدهم:

– هيّا نبنِ بيتنا الجديد.

قال آخر:

– خرجْنا من ضِيقِ الجحر، لننعمَ بالراحة!

– وماذا ترى؟

– يبني كلٌّ منّـــا بيتـــاً، ونجعـــلُ البيـــوتَ متجاورة.

– هذا رأيٌ صائب.

– هيا إلى العمل.

انتشر الإخوةُ مسرعين، يجمعـــون الأخـــشابَ والأغصان، ويعملون بدأبٍ ونشاط، حتى بنوا بيوتاً ثلاثة...

دخل كلٌّ أرنب بيته الجديد، وارتمى نائماً مـــن التعب، وفي الصباح الباكر، خرج الإخوةُ الثلاثة، يضربون في الأرض، بحثاً عن الرزق..

ويوماً بعدَ يومٍ، ازدادَ الإخوةُ فرقةً، وأصبحوا لا يلتقون إلا قليلاً، ولا يهتمُّ أحدهم بغيـــرِهِ، بـــل بنفسِه وبيتهِ..

* * *

وذاتَ مساءٍ قارس، عادَ الأرنــبُ الــصغيرُ، يحملُ علبةً كبريت.. كان يرتجفُ من البرد، ولكنهُ يقفزُ فرحاً، ويصيح:

– سأطبخُ الطعام.

– وأدفئُ العِظام.

وحينما دخلَ بيته، أخذ يشعلُ عيدانَ الثقــاب، ويلوِّح بالشّعلة الراقصة، ويضحكُ مسروراً، حتى يستلقي على قفاه..

وبدون أنْ ينتبه، أشعلَ البيتَ ناراً!

نهض مذعوراً، يحاولُ إطفاءَ الحريــق، فلــم يقدر..

استنجدَ بأخيه الأوسط، فردَّهُ قائلاً:

–الحريقُ في بيتك، فأطفئْهُ وحدَكَ.

واستعانَ بأخيهِ الكبيرِ، فقال له:

–بيتي سليمٌ، ولا يهمُّني بيتكَ.

التهمت النارُ، بيتَ الأرنبِ الصغير، ومــدَّتْ ألسنتها، إلى بيت الأرنبِ الأوسط، فاستنجدَ بأخيــهِ الكبير، فلم ينجدْهُ..

أكلت النارُ، البيتَ الثاني، وطار شررها، إلى البيت الثالث، فاستغاث الأرنبُ الكبيرُ بأخويهِ، فلم يستجبْ له أحدٌ، وبعدَ زمنٍ قصير، صارتِ البيوتُ الثلاثة، أكواماً من رماد..

قعد الإخوةُ محزونين، ينظرون إلى بيوتهم المحروقة..

قال الأرنب الصغير:

– لولا لعبي بالكبريت، لما احترقَ بيتي.

قال الأوسط:

– لو ساعدناكَ في إطفاء بيتك، لما احترقَتْ بيوتنا.

قال الكبير:

– الندمُ والحزنُ، لا يفيدانِ شيئاً.

– وما العملُ الآن؟

– علينا أن نبني بيوتاً جديدة.

قال الأوسط:

– لن نبني سوى بيتٍ واحد.

– لماذا؟!

– إذا كنا إخوةً حقاً، وجبَ أنْ نعيشَ في بيتٍ واحد.

– صدقْتَ واللهِ، فقد افترقَتْ قلوبُنا، منذُ افترقنا في البيوت.

– انهضوا لنجمعَ الأخشاب.

قال الصغير:

– لن أجلبَ عوداً واحداً.

– لماذا؟!

– سنبني بيتاً بالأحجار.

–ولمَ ذلك؟

– حتى لا يأكلَهُ الحريق.

قال الأوسط:

– لا تخفْ يا أخي، فالبيتُ الــذي يــسكنه الحبُّ، لا يدخلُهُ الحريق.

– هيّا إلى الأحجار.

– هيّا إلى الأحجار.

* * *

أسرع الإخوة الثلاثــة، يجمعــون الحجــارةَ، ويجبلون الطين، ويعملون متعاونين، حتى بنوا بيتاً من حجر، يروقُ الناظرين..

غمرَ الفرحُ الإخوةَ، فانطلقوا يقفزون حولَــهُ، ويرقصون، وينشدون:

بيتٌ بالحــب بنينــاهُ وبضوءِ الشمسِ ملأناهُ

يا بيتاً يرعى وحدتنا دوماً في القلب سنرعاهُ

الجَبان واللصّ

كان برهان رجلاً جباناً أحمقَ، عقلُهُ مشغولٌ بالوساوس، وقلبُهُ مملوءٌ بالمخاوف، فهو دائمُ الالتفات، ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمال، يحسبُ كلَّ شيءٍ عدوّاً، فيخافُ من الورقة التي تتحرّكُ وراءَهُ، ويخافُ من ظلِّهِ الذي يلازمُهُ، فيقفُ مذعوراً مرتاباً..

ويقفُ الظل..!

ينحني برهانُ عليه، وهو يغمضُ عينيه ويفتحهما، ويتفرَّسُ في ظلِّه المرسومِ على الأرض، ثم يلمسُهُ بأناملَ راعشةَ، وحينما يوقنُ بأنَّهُ ظلٌّ، يتابعُ سيرَهُ، ولا يلتفتُ نحوه، فقد يتحوّلُ إلى شيءٍ آخر!

ذاع خبرُ جبنِ برهان، وسمعَ به الكبيرُ والصغير، لذلك كان الأولادُ يختبئون، خلف الجدرانِ والزوايا، وينتظرون مروره، فإذا ما وصل إلى قربهم، خرجوا من مخابئهم فجأةً، وصاحوا في وجهه، فيطيرِ فؤادُهُ، ويرتعشُ جسمُهُ، ومع ذلك، ينظرُ إليهم حانقاً، ويقول:

– افعلوا هذا مع غيري، فأنا لا أخاف!

– دَعْنا نضعُ أيدينا على صدركَ.

– لماذا؟

– لنسمعَ خفقانَ قلبكَ، ونعرفَ صدقَ قولك.

– لن يلمَس أحدٌ منكم صدري، سواءٌ أصدّقتم أم لم تُصدقوا.

وفي إحدى الليالي، كان برهان وزوجته، نائمينِ في البيت، وعند منتصفِ الليل، جاء أحدُ اللصوص، وفتح عليهم الباب..

أحسَّ به برهان، فغطَّى وجهَهُ باللحاف، وفرائصُهُ ترتعدُ، وقلبُهُ ينتفض..

وأحسَّت الزوجةُ باللص، فنخسَتْ زوجها، وهمسَتْ في أذنه:

– لقد فتح لصٌّ بابَ البيت!

– فتحه الهواءُ لا اللص.

– الهواءُ لا يفتحُ الباب.

– لا تجادلي كثيراً، وإذا لم تُصدِّقي أسألُهُ.

قالت الزوجةُ ساخرةً:

– اسألْهُ!

كان اللصُّ يسمعُ حديثَ الزوجينِ، ويــضحكُ في سرِّهِ..

قال الزوج:

– أنتَ لصٌّ أم هواء؟

قال اللص:

– أنا هواء!

قال الزوج:

– هل صدَّقْتِ الآن؟

صمتَتِ الزوجةُ كاظمةً غيظها، فقــد أعيْتهــا حماقةُ زوجِها..

أخذ اللصُّ يجمعُ متاعَ البيت، ويضعُهُ في كيسٍ كبير، وهو آمنٌ مطمئنّ، وحينما فرغ من البيــت، خرج إلى الفِناء، يبحثُ عن أشياءَ أخرى..

نفدَ صبرُ الزوجةِ، وثارَتْ ثائرتها، فنهــضَتْ من فراشها، وتناولَتْ عصاً غليظة، ومشَتْ علــى

رؤوسِ أصابعها، وعندما صـــارت وراء اللـــص، رفعَتْ عصاها، وضربَتْهُ على رأســـهِ، فـــانطرح مغمىً عليه، والدماءُ تسيلُ من رأسه..

هرِعَتِ المرأةُ إلى زوجهـــا، وجـــذبَتْ عنـــه اللحافَ، وهي تقول:

– انهضْ يا جبان، لقد قتلْتُهُ!

– من قتلْت؟

قالتِ الزوجةُ غاضبةً هازئة:

– قتلْتُ الهواءَ، ودماؤهُ تسيل!

– ماذا تقولينَ يا حمقاء؟!

رفعَتِ المرأةُ زوجها من تحت إبطيهِ، ودفعَتْهُ إلى الفِناءِ دفعاً، فشاهدَ اللصَّ مطروحـــاً، ومتـــاعُ البيتِ بجانبه..

نكسَ رأسَهُ خجلاً، وقال بصوتٍ خافت:

– وما العملُ الآن؟

– يجبُ أنْ نخبرَ الشرطة.

– مَنْ سيذهبُ إليهم، في هذا الليل؟!

– أنتَ.. ألستَ رجلاً؟!

– بلى، بلى.. أحضري لي ثيابي.

– ابقَ هنا ريثما أبحثُ عنها، ربَّما كانت في كيسِ اللص.

دخلَت المرأةُ البيتَ، وظلَّ برهانُ واقفاً، عند رأسِ اللص، ينظرُ إليه مدهوشاً، ويعجبُ من شجاعة زوجتِه، ويقول:

–أيُّ امرأةٍ عندي، وأنا لا أدري؟!

والتفتَ حوله، فرأى العصا، تناولها بيدٍ مرتجفة، وحينما صارتْ في قبضته، رفعها إلى الأعلى، وضرب اللصَّ الممدَّدَ، ضربةً ضعيفة، وانتظرَ ما يبدرُ منه..

لم ينهضِ اللصُّ، ولم يتحرّكْ..

طار الخوفُ من قلب برهان، لأوَّل مرة في حياته، فانهال على اللصِ الطريح، يضربُهُ بلا هوادة، وهو يشعرُ بسعادةٍ غامرةٍ غريبة، لم يذقْ طعمها من قبل، فاستمرَّتْ عصاهُ، تعلو وتهوي وهو يهتفُ فرحاً:

-.. ما أحلى الشجاعة!!

أفاق اللصُّ من إغمائه، شاعراً بألم الضربِ، وانطلق هارباً كالسهم..

جرى برهانُ وراءَهُ، وهو يصيح:

-يا لص.. يا أخي.. أمانة في عنقكَ أنْ تخبرَ الناسَ بما حدثَ.. قل لهم: إنَّ برهانَ المغوار، أشبعَني ضرباً بالعصا!

سعفان وجمعان

في قريتنا مجنونانِ اثنـــان، أحـــدهما يُـــدعى "سعفان"، والآخرُ يُدعى "جمعان"..

وكان بينهما خِلافٌ وخِصام، فلا يـــصطلحانِ ولا يتحادثان، وإذا ما التقيا مَصادفةً، تبادلا نظـــرةً ازدراءٍ، ثم أعرضَ كلٌّ منهما عن صاحبهِ، وافترقا صامتينِ..

وذاتَ مرَّةٍ، سألْتُ سعفان:

-لماذا لم تكلِّم جمعان؟!

فلوى رأسَهُ، وحملقَ إليَّ مدهوشاَ، وقال:

-أما رأيته؟.. إنَّهُ مجنون!

وعلى الرغم من عدائهما الظاهر، كان يربطهما حبٌّ عميق، فإذا ما افتقدَ أحدهما الآخر، انتابه القلقُ عليه، وظلَّ يبحثُ عنه، حتى يجدَهُ..

حينذاك، ينتحي جانباً، ويرنو إليه مسروراً، ثم ينصرف هادئَ النفسِ، هانئَ البال..

وكان هذانِ المجنونانِ، لا يؤذيانِ أحداً، وما حدث صباحَ اليوم، لم يكن في الحسبانِ، فقد كان سعفان، ماراً في الزقاق، فرأى طفلاً صغيراً، على باب منزله، يأكلُ قطعةً من الحلوى، فراقبه قليلاً، ثم خطفه وهرب..

أخذ الطفلُ يبكي ويصرخ، وخرجَتِ الأمُّ، فرأَتْ صغيرها، بين ذراعي المجنون، فهرولَتْ

وراءهُ خائفةً، تركضُ وتصيح:

–قفْ يا سعفان.. اتركِ الطفلَ.. سأُعطيكَ ما تريد.

ولكنَّ سعفان، ظلَّ يركضُ، لا يقفُ، ولا يلتفت..

سمع الناسُ صياحَ المرأة، وشاهدوا الطفلَ مع المجنون، فهرعوا إليه، ليلحقوا به، وينقذوا الطفل، ولكنْ قبلَ أنْ يدركوه، صعد إلى مئذنة الجامع، وأطلَّ من نافذتها العالية، فوجد الناسَ قد وصلوا إلى باب الجامع، فأخرج رأسَ الطفلِ من النافذة، وقال مُحذِّراً:

–ابتعدوا عن الباب، وإلاّ ألقيْتُ الطفلَ من هنا.

كانتِ الرؤوسُ مرفوعةً، والعيونُ معلَّقةً بالطفل، والقلوبُ تخفق فزعاً، والطفلُ يبكي، والمجنونُ يتوعَّدُ، فتراجعَ الناسُ عن الباب، وقالوا مشفقين:

–أدخلِ الطفلَ يا سعفان، ولــن نقتــربَ مــن الباب.

ومكث الناسُ حائرين، لا يدرون ماذا يفعلون!

وكان بينهم شيخٌ كبير، يُطرقُ مفكِّراً، ثم رفــع رأسَهُ، والتفتَ إلى الرجال، وقال:

– ابحثوا عن جمعان، وأحضروه فوراً.

– لماذا؟

– لن يحلَّ هذه المشكلةَ غيره.

قال رجلٌ ساخراً:

– ومتى كان المجانينُ يحلُّون مشاكلَ العقلاء؟!

قال الشيخُ جازماً:

– لا يفهمُ المجنون، إلاّ مجنونٌ مثلُهُ.

أطاع الرجالُ الشيخ، وانتــشروا فــي أزقَّــة القرية، يبحثون عن جمعان، وما لبثوا أنْ وجدوه، وعادوا به، فاقترب الشيخُ منه، وأخبرَهُ بما عمــل

سعفان، وطلب إليه، أنْ ينقذَ الطفل..

رفع جمعانُ رأسهُ، ونظر إلى أعلى المئذنـــة، فرأى سعفان، يُشرفُ من نافذتها، فهزَّ رأسَهُ، وقال للشيخ، وهو يضحك:

– الأمرُ سهلٌ جدّاً.

– كيف؟!

– هاتوا منشاراً.

سارعَ الرجالُ، وجلبوا المنشارَ، فأخذَهُ جمعانُ، ووضعَ أسنانه، على جدار المئذنة، ونظـــر إلـــى أعلاها، وقال مُهدِّداً:

– انزلْ يا سعفان، وإلاّ نشرْتُ بكَ المئذنة.

مدَّ سعفانُ رأسَهُ، ونظر إلى الأسفل، فـــشاهد المنشارَ على جـــدار المئذنـــة، وجمعـــانُ يدفعُـــهُ ويُرجعُهُ، فطار قلبُهُ، وصاح مستغيثاً:

– لا تنشرِ المئذنة يا جمعان، أنا نازلٌ حالاً.

وسرعان ما نزل سعفان، ففرح الناسُ كثيــراً، وبادروا إلى الطفل، يتفحّصونهُ ويتلمــسونهُ، فلــم يجدوا به أيَّ أذى، فأخذَتْهُ أُمُّهُ، وصارت تــضمّهُ وتقبّلُهُ، وعيناها تفيضانِ فرحاً..

وسمع الناسُ قهقهةً، فــالتفتوا إلــى الــوراء، فشاهدوا سعفانَ وجمعانَ، يركضانِ ويضحكان..

أفراخ بلا أعشاش

دخلَ المعلِّمُ الصف، فسكنَتْ حركاتُ التلاميذ، وخيَّمَ الصمتُ والهدوء..

قال المعلم:

–سأُحدِّثكم اليومَ عن طائرٍ ماكر، لا شبيهَ لـــه بين الطيور!

فتحْنا العيونَ والأفواه، دهشةً وعجباً..

قال المعلم:

-لا تعجبوا من ذلك، فقصةُ هذا الطائر، قصةٌ واقعية، قرأْتُها في كتابٍ علمـــي، يتحـــدَّثُ عـــن الطيور.

سأل أحدُ التلاميذ:

-ما اسمُ هذا الطائر؟

-يسميهِ العلماءُ "الطائر الكسول".

-هل هو طائر كبير؟

-لا.. إنَّهُ نوعٌ من الشحرور.

-ولماذا أطلقوا عليه "الطائر الكسول"؟

قال المعلم:

- لأنَّ الشحرورةَ الكسول، لا تُتعبُ نفسَها، في بناء عشٍ، تضعُ فيه بيضها، عندما يـــأتي موســـمُ البيضِ والتفريخ.

-وأين تضعُ بيوضها؟

- في أعشاش الطيورِ الصغيرةِ الأخرى.

– هل تضعها في أكثرَ من عشٍ؟

– نعم.. إنها تضعُ في كلِّ عشٍّ بيضةً واحدة.

– لماذا تفعل ذلك؟

– حتى لا ينكشفَ أمرُها.

قلتُ مستغرباً:

– كيف يسمحُ بذلك، أصحابُ العش؟!

– إنَّها تضعُ بيضتها خلسةً، في غفلةٍ من أصحاب العش.

– وماذا يحدث بعد ذلك؟

قال المعلِّم:

– لا يلاحظُ أصحابُ العشِّ فرقاً بين بيضهم، وبيضةِ الطائرِ الكسول، فيحتضنون البيضةَ الغريبةَ مع بيوضهم، ويقدِّمون لها العنايةَ والرعاية، وعندما تفقسُ، تبدأُ المشكلة..

– لماذا؟

– لأنّ بيضةَ الطائرِ الكسول، تفقسُ بـــسرعة، قبلَ البيوض الأخرى.

– وما الضررُ في ذلك؟

قال المعلِّم:

– يصبحُ الفرخُ الغريب، أكبرَ الفراخِ وأقواها، وأكثرها التهاماً للطعام، فيستولي على معظم الغذاءِ في العشِ.

– والفراخ الأخرى؟

– بعضها يموتُ جوعاً، وبعضها الآخر، يُلقيه الفرخ الغريبُ خارج العش.

قلتُ مغتاظاً:

– هذا الطائرُ مغتصبٌ وظالم!

أطرق المعلِّمُ قليلاً، ثم رفـــع رأسَـــهُ، وســـألَنا قائلاً:

– ألا يوجدُ مَنْ يفعلُ مثله بين البشر؟

فاجأنا هذا السؤالُ، وأخذْنا نفكِّرُ في الجواب..

لم يمهلْنا المعلِّمُ طويلاً، بل أخرجَ ثلاثةَ تلاميذٍ صغارٍ، انتقلوا حديثاً إلى صفّنا.. كانت وجـــوههم حزينةً شاحبة، تتوقُ إلى البسمة والفرح..

بسط المعلِّم راحته الحانية، يمسحُ بهـــا علـــى رؤوسهم، ثم قال محزوناً:

-إخوتكم الصغارُ هؤلاءِ، طردتْهم إسرائيلُ من وطنهم، وبيوتهم، في فلسطينَ والجولان..

وما لبث أنْ سكتَ عن الكلام، وشرع يرمقنـــا صامتاً، فوجدَنا نضطرمُ غضباً، فأردف قائلاً:

-أعتقدُ أنكم قد عرفتمِ الجوابَ، وعرفتم لماذا يكبرُ كرهُنا لإسرائيلَ، يوماً بعد يوم..

الفهرس

الدّميَـــــــة ٨
النهر الكبير ١٢
الأرنب الذكية ١٧
الليل والسّراج ٢٣
الكَرم والمعْصَرة ٢٨
سلمىتأكل الحروف الهجائية ٣١
هات وخذْ ٣٧
البالون الأحمر ٤١
البستان الأزرق ٤٤
الجائعون ٤٩
المِرْوَحَة ٥٣

النحل والدبور ٥٨
الناطور ٦٧
رأس الثور ٧٢
عشّ العصفورة ٧٨
المرآة..... ٨٥
الشهيد..... ٩١
الجَبَل ٩٥
الشمس والنافذة..... ١٠٠
الرصاصة والحجر ١٠٥
الأبْلَه..... ١٠٩
الحبّ والحريق..... ١١٧
الجَبَان واللصّ..... ١٢٥
سعفان وجمعان..... ١٣٣
أفراخ بلا أعشاش ١٣٩